

## العدل مع أهل الذمة

الحمد لله الذي أوجب العدل في كل الأحوال، وحرّم الظلم في الدماء والأعراض والحقوق والأموال، وأشهد أن لا إله إلاّ كامل الأوصاف وواسع النوال، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي فاق جميع العالمين في العدل والفضل والإفضال، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه خير صحب وأشرف آل.

**ثم أما بعد: فإن القرآن الكريم صنف الناس الى ثلاثة أصناف:**  
المتقين والكفار والمنافقين.

**وقد احتوت سورة البقرة في بدايتها على تلك الأصناف الثلاثة وبينت صفاتهم وخصائصهم.**

**فالصنف الأول:** المتقون، وهم الذين يؤمنون بالغيب، ويقومون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون، ويؤمنون بالقرآن وما قبل القرآن من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل.

**والصنف الثاني:** الكفار الذين استهواهم الكفر، وسقطوا في أحواله، وكان الحديث عنهم في آيتين فقط.

**والصنف الثالث:** المنافقون: وكان فيهم ثلاث عشرة آية لغموضهم وتخفيهم وإظهارهم الإيمان، وإبطانهم الكفر عيادا بالله.

**عباد الله: والصنف الثاني: من الكفار الخالص: كانوا على قسمين:**

**القسم الأول:** الوثنيون عبادة الأصنام والملاحدة والعلمانيون.

**والقسم الثاني:** أهل الكتاب من يهود ونصارى، وهؤلاء جميعهم وهم

الكفار الخالص، فإن شرعنا الحنيف قد جعل لنا معهم تعاملًا خاصًا

إذا سافروا لبلاد المسلمين لقضاء مصالحهم أو زائرين أو مستجيرين،

ووفقًا لهذا تتنوع أصنافهم: **فمنهم الذميون:** وهم من كانوا من أهل

تلك البلاد الإسلامية يحملون جنسية تلك الدولة المسلمة، ومنهم

المعاهدون: وهم من عقدت دولتهم صلحًا مع دولة من دول

المسلمين. **ومنهم المستأمنون:** وهم الكفار الذين بيننا وبينهم حرب

ويدخلون إلى بلاد المسلمين بأمان مؤقت، يقول الله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾.

**وأحكام التعامل معهم كثيرة، فمنها: أولاً: العدل معهم؛ فالعدل مبدأ**

**إسلامي شامل لجميع البشرية بغض النظر عن اللون أو الجنس أو النوع**

**أو الدين أو الوطن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ**

**شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ**

**أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.**

وقصة الفاروق عمر بن الخطاب الذي اقتصر للرجل القبطي من واليه

على مصر عمرو بن العاص وولده مشهورة معروفة؛ بل يروي سليمان

بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث عبد الله بن رواحة، فيحرص بينه وبين يهود، قال: فجمعوا له من حلي نسائهم، فقالوا: هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسم، قال ابن رواحة: "يا معشر يهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما الذي عرضتم من الرشوة، فإنها سحت وإننا لا نأكلها"، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

**ثانياً: الإحسان بهم؛** ينص على هذا قول الله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. وهذا يتضمن جواز الإهداء لهم، وقبول هديتهم.

**وقد عقد البخاري باباً بعنوان: "باب قبول الهدية من المشركين"،** ويتضمن كذلك عيادة مرضاهم، وحسن ضيافتهم، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، قدمت عليّ أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: "نعم، صلي أمك". متفق عليه.

**ثالثاً: تعريفهم بالإسلام ودعوتهم إليه؛** وهذا من تمام برهم والإحسان إليهم والرحمة بهم؛ ففيه نجاتهم من النار ودخولهم الجنة، فعند مسلم أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار". رواه مسلم.

**رابعًا: حرمة دمائهم وأموالهم ووجوب حمايتهم؛** وقد تضافرت النصوص الشرعية على وجوب ذلك؛ فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده". رواه أبو داود.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا". رواه البخاري.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة". رواه أبو داود.

**خامسًا: حل ذبائح أهل الكتاب منهم والتزوج منهم:** يقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾. وأحل الطعام والذبيحة بيننا وبينهم من الوجهين، فيحل لنا أكل ذبائحهم، ويجوز لنا أن نطعمهم من ذبائحننا،

ولكن التزوج بنسائهم يجوز لنا، ولا يجوز تزوجهم بنسائنا.

\*\* \*\*

## الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم أما بعد عباد الله يجب التنبه ونحن نعطي هؤلاء القوم حقوقهم ونتخلق بأحسن الأخلاق معهم لنكسبهم إلى ديننا وندعوهم إلى الله ربنا ألا نغفل أمورا مهمة:

**الأول:** أن نتبرأ منهم ومن دينهم وعقيدتهم ومحبتهم وموالاتهم؛ فقد أعلم القرآن العالمين قائلًا: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ وأمر الله قائلًا: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقائلًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

**والثاني: الحذر من التشبه بهم:** فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول:

"من تشبه بقوم فهو منهم". رواه أبو داود.

ويقول: "ليس منا من تشبه بغيرنا". رواه الترمذي.

**الثالث:** الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو

تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة. مودتهم ومحبتهم. وقد نهي الله عنها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾.

**الرابع: الركون إليهم:** قال تعالى: ﴿وَلَا تَرَكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

**الركون حقيقته:** الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به. الخامس: مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

والمداهنة والمجاملة والمدارة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من المسلمين اليوم وهذه نتيجة طبيعية للانحزام الداخلي في نفوسهم. **السادس:** من هرب من دار الإسلام إلى دار الحرب بغضاً للمسلمين وحباً للكافرين.

**السابع:** من انخرط في الأحزاب العلمانية أو الإلحادية كالشيوعية والاشتراكية والقومية والماسونية، وبذل لها الولاء والحب والنصرة.

**الثامن:** التآمر معهم، وتنفيذ مخططاتهم والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم والتجسس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم، والقتال في صفهم، وهذه الصورة من أخطر ما ابتليت به أمتنا في هذا العصر، ذلك أن وجود ما يسمى في المصطلح الحديث الطابور

الخامس.

وأخيراً فإننا نقرر في وضوح أنه كما للمعاهدين والمستأمنين حقوق، فإن عليهم واجبات تجاه الدولة التي هم على أرضها، فمنها: ألا يتجسسوا عليها ويدُّلُّوا أعداءها على عوراتها، فيكونوا كالشوكة في ظهرها، ومنها: ألا يعملوا على نشر دينهم وملتهم والدعوة إليها، فإنهم على باطل ومآل من مات منهم على باطله الخسار والبوار؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم، يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار". رواه مسلم.

ومنها: ألا يجاهروا بما يصاد تعاليم الإسلام ومبادئه وأصوله، ومنها: ألا يسيئوا إلى المسلمين وإلى قرآنتهم ورسولهم صلى الله عليه وسلم وسنته. وفقنا الله وإياكم للخيرات، وجنبنا الغفلة والحسرات.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد مطمئناً وسائراً بلاد المسلمين اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل اللهم تب علينا واغفر لنا وارحمنا إنك أنت التواب الغفور الرحيم اللهم وفقنا لما تحب وترضى وهيئ لنا من أمرنا رشداً واغفر لنا وللمسلمين

إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم حقق لنا ما نرجو، وآمنا مما نخاف  
اللهم تقبل منا، واغفر لنا وارحمنا ، اللهم انصرنا على عدونا، واجمع  
كلمتنا على الحق، ويسرنا لليسرى، وجنبنا العسرى، واغفر لنا في  
الآخرة والأولى إنك جواد كريم. اللهم وفق إمامنا لما تحب وترضى وخذ  
بناصيته للبر والتقوى، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من  
لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.